جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - قسم التاريخ

أستاذ المادة: د/ سمير مزرعي السنة الثانية ليسانس

فـــــتـــــح الأنـــدلـــس (91-97هـ/710-716م)

1- موقع الأندلس الجغرافي:

أطلق لفظ الأندلس في البداية على شبه جزيرة ايبيريا كلها، وهي تقع في جنوب غرب أوروبا، حدودها من جهة الغرب مع المحيط الأطلسي وفي الشرق يحدها البحر المتوسط أما شمالا فسلسلة جبال البرت التي جعلتها في شبه عزلة عن فرنسا وباقي دول القارة الأوروبية، ويحده جنوبا بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) وهو حلقة الوصل بين المغرب والأندلس.

كان المجتمع الإسباني عشية الفتح الاسلامي على الصعيد الاجتماعي يتكون من خمس طبقات غير متماسكة ومتصارعة فيما بينها وهي: (طبقة النبلاء، طبقة رجال الدين، طبقة التجار والزراع وصغار الملاك، طبقة العبيد، طبقة اليهود)، ومن الناحية السياسية فقد ضعفت الروح الحربية لدا الاسبان الذين استغرقوا في حياة الترف، وكانت المنافسات والمؤامرات قد كثرت بين المرشحين لحكم إسبانيا القوطية، في الوقت الذي ملك إسبانيا يختار من طبقة النبلاء بحيث يعين عن طريق الانتخاب لا الوراثة من قبل مجلس النبلاء.

2- دوافع المسلمين لفتح الأندلس:

تعددت دوافع فتح الأندلس في مرحلة كان البربر قد حملوا على عاتقهم ثقل تلك المهمة وقد ساعدهم في ذلك ما يلي:

أ- الدافع الاستراتيجي: المتمثل في الجوار الجغرافي بين المغرب والأندلس، والتقارب العنصري بين الشعبين والتجانس التاريخي منذ التوسع الفينيقي؛ الذي جعل من هاتين المنطقتين اللتين لا يفصل بينهما سوى مضيق جبل طارق بمثابة منطقة استراتيجية واحدة، يكمل كل منهما الآخر.

ب- حث الأمازيغ على الجهاد: لقد استغرق الفتح الاسلامي للمغرب سبعين سنة في منطقة كان الرومان والبيزنطيون قد سيطروا عليها ثمانية قرون ونصف غير أنهم لم يتمكنوا من تحويله إلى إقليم رواني أو بيزنطي في حين اندمج المغاربة في الدولة الاسلامية، وقد كان الأمازيغ تتوق نفوسهم للجهاد.

ج- نمو البحرية الاسلامية: لقد أصبحت تونس قد أصبحت قاعدة بحرية حصينة وهي التي مكنت المسلمين من إنجاز المرحلة الأخيرة من مراحل فتح المغرب، فقد اعتمد الفاتحون على سفن مصر حتى ينة 89هـ/708م عندما أسسوا دارا لصناعة في تونس بفضل جهود الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أوعز بذلك إلى حسان بن النعمان الغساني، ثم استكمل موسى بن نصير بناء دار الصناعة وقد ساعده في ذلك أقباط مصر.

د- التحالف مع يوليان حاكم سبتة: هناك رواية عربية تترجم لنا رغبة يوليان في مساعدة طارق بن زياد وموسى بن نصير لفتح الأندلس، فالرواية العربية تقول بأن يوليان أراد الثأر لابنته "فلورندا" التي أرسلها إلى إسبانيا عند الملك رودريق

(Rodrigo) للتعلم في قصر طليطلة بعد أن اعتدى هذا الأخير على شرفها، وهذه القصة ربما تكون غير واقعية، وحتى إن كانت واقعية لا نراها تمثل سببا وعاملا مباشرا دفعت بيوليان لمساعدة الفاتحين، بينما القصة الإسبانية وربما تكون الأقرب إلى الواقع هي أنه بعد أن سيطر رودريق على الحكم التجأ الملك المخلوع وصاحب الحق وقلة (Achila) بن وتيزا (Witiza) إلى يوليان حاكم سبتة الذي يمت بصلة القرابة والنسب إلى أسرة وتيزا، وطلب منه الاتصال بالعرب لفتح الأندلس واسترجاع حقه في الحكم.

3- حملات فتح الأندلس:

أ- حملة طارق بن زياد(92-93هـ/711-712م):

بعد الغارات الاستطلاعية التي قادها بعض القادة على السواحل الأندلسية، اختار موسى بن نصير قائدا أمازيغيا هو طارق بن زياد وذلك بجيش قوامه سبعة آلاف -وفي رواية أخرى إثنى عشرة ألف- وذلك قصد فتح هذه البلاد، أبحر طارق بن زياد بالجيش من طنجة على بعض السفن وحين وصل قام بالسيطرة على الجبل الاستراتيجي، وبعدها قام طارق ببناء سور حوله، ثم قام بالاستيلاء على قرية قرطاجنة واقام قاعدة عسكرية على الساحل في موضع، حيث أصبحت فيما بعد مدينة يطلق عليها الجزيرة الخضراء.

ب- طارق وفتح طليطلة: (93هـ/712م):

بعد انتصار طارق بن زياد في وادي لكه، اتجه نحو قلعة استجة Ecija وجد فيها مقاومة شديدة وبعدها أرغم طارق صاحب القلعة على الصلح، ثم واصل بجيشه نحو طليطلة، بحيث أرسل ثلاث فرق، إحداها إلى مالقة Malaga والأخرى إلى البيرة Elvira والثالثة إلى قرطبة، ودخل طارق قرطبة دون مقاومة، فقد وجدها تقريبا خالية تماما ليس فيها إلا اليهود.

ج- حملة موسى بن نصير: (93-95هـ/712-714م):

تعتبر مدينة اشبيلية من أعرق مدن الأندلس وأكبرها ولم تسقط بيد موسى بن نصير إلا بعد حصار دام عدة أشهر، تحول بعدها مع جل الجيش نحو مدينة ماردة Merida التي حاصرها مدة ثم دخلها صلحا، وأثناء حصاره لماردة قام أهل إشبيلية على الحامية التي تركها موسى فأرسل لهم جيشا حيث تمكن من استرجاعها.

التقى بعدها موسى بن نصير بطارق بن زياد وقاما بالتنسيق لفتح الأندلس، سارا معا نحو سرقسطة (95هـ/714م) التي سماها المسلمون" المدينة البيضاء"، بعدها أخذ طارق مساره في الجهة اليسرى فدخل إقليم شية Ejea في حين سار موسى في الضفة اليمنى فافتتح حصن بارو Villabaruz ثم استولى على قلعة سانتا ماريا دي لوغو Santa Maria de lugo بعدها تم الاستيلاء على خيخون، حتى وصل إلى البحر الشمالي عند حدود فرنسا الجنوبية. وقد استمرت الأندلس مقلا من معاقل المسلمين إلى غاية انحصارها في إمارة صغيرة هي " غرناطة" التي قاومت حتى سقوطها سنة 897هـ/1492م وبهذا التاريخ يتوقف تاريخ الأندلس.

بعد هذا الفتح قام موسى بن نصير باختيار اشبيلية عاصمة للأندلس، ثم خرج منها إلى دمشق بحيث مر بالقيروان فمصر ثم فلسطين حتى دخل دمشق في جمادى الأولى 96هـ. لقد أثبت موسى بن نصير وطارق بن زياد في الأندلس أنهما استطاعا أن يصلا إلى أوروبا بعد أن تم الفتح في المغرب.

د- حملة عبد العزيز بن موسى بن نصير وفتح شرق الأندلس (95-97هـ/714-716م):

تولى عبد العزيز بن موسى الأندلس بعد رحيل والده موسى وطارق بن زياد إلى دمشق، فأعد حملة لفتح شرق الأندلس وجنوبه والتي لم يصل إليها الفاتحين موسى وطارق، اتخذ عبد العزيز بن موسى بن نصير الطريق الغربي في الاندلس وقام بفتح مالقة وغرناطة ثم اتجه إلى كورة التي دخلها صلحا مع الأمير (تدمير) Todomiro والذي تم سنة 96هـ، ثم واصل مساره فدخل برشلونة وجرندة دون مقاومة.

وبقت ثغرة هامة أهملها عبد العزيز أثناء فتح غرب الأندلس، حيث توقف عند إقليم استورقة أو اشتوريش (Asturias) شمال غرب الأندلس، ويعود هذا الإهمال إلى صعوبة المسالك والبرد الشديد، مما ساعد بعض فلول الجسش القوطي بزعامة بلاي (Pelayo) إليها واستقروا بمغاراتها واصبحت تعرف ب كوفادونجا (Cova donga) التي ستصبح فيما بعد نواة دولة إسبانيا المسيحية التي تنطلق منها حركة المقاومة بقيادة بلاي ومن بعد حفيده الملك ألفونسو الأول.

4- نتائج الفتح في الأندلس:

لقد تغيرت الخريطة الاجتماعية والسياسة للأندلس بعد إتمام الفتح وظهرت تقسيمات جغرافية غيرت تاريخ المنطقة ويمكن أن نذكر منها ما يلي:

أ- النّتائج الاجتماعية :

عرفت الأندلس بعد فتحها تنوّعا في عناصر سكّانها من حيث الجنس والعقيدة والثّقافة، فلقد ضمّت الأندلس العرب الفاتحين والعرب الوافدين وجماعة من الاسبان المسالمة أي الّذين دخلوا في الإسلام والعجم الذّمّيون أو المستعربين وهم الّذين بقو على دينهم في ظلّ الحكم الإسلامي ثمّ طائفة المولّدين وهم نتاج لتزاوج رجال العرب بنساء الإسبان، ثمّ البربر الّذين دخلوا مع طارق أو الّذين هاجروا من بلاد المغرب.

كما أنّ الفتح غيّر أوضاع السّكان بشكل عام، إذ أنّ بعد زوال الحكم القوطي تجمّع زعماء القوط في منطقة جليقة في الشّمال الغربي، وأبقى المسلمون على الّذين ساعدوهم فأعادوا يوليان إلى حكم سبتة وردّت إلى أولاد غطيشة أموالهم وممتلكاتهم وضياعهم كما سمح لبعض النّبلاء والإقطاعيين بالاحتفاظ بأراضيهم.

- وأحسن المسلمون معاملة الرّقيق الّذين حلّ بهم البؤس والشّقاء قديما، لدلك دخل الكثير من السّكان تحت حكم المسلمين لما شاهدوه من تسامح، كما عاملوا اليهود معاملة حسنة فقد سمحوا لهم بمزاولة التّجارة وأمّنوهم على أنفسهم وأولادهم وأموالهم وسمحوا لهم بحرّية الملكية

ب- النّتائج الاقتصادية :

كان من النتائج الاقتصادية للفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإبيرية، أن عمل الفاتحون على تخفيض الأعباء الضريبية الثقيلة التي كانت تفرض على الطّبقات العاملة في الزّراعة والصناعة والتجارة، فألغيت الضرائب الفادحة وفرضت الجزية على غير المسلمين، وخفضت نسبة الخراج المفروضة على الأراضي المزروعة، ولذلك صار المزارعون والعبيد الذين يعملون في الأرض التي

انتقلت إلى المسلمين يستأجرون الارض أو يعملون فيها ويدفعون جزءا من غلاتها إلى المسلمين وقد نتج عن ذلك ازدهار جميع أوجه النّشاط الاقتصادي.

ج- النّتائج السّياسية :

لقد كسب المسلمون مكسبا إقليميا جديدا أضافوه إلى رقعة دولتهم الواسعة وحقّقوا مكسبا جديدا لدولتهم ورسالتهم ولمواردهم، حيث أزالوا الحكم القوطي وآثاره على البلاد، ولم يبق للقوط شوكة تذكر إلاّ فريقا معتصما في جبال جليقة في الشمال الغربي وقد آلت ممالكهم إلى المسلمين وأبقى المسلمون على بعض الّذين أعانوهم من حكام القوط فثبّت يوليان في حكم سبتة وردت إلى أبناء غطيشة (witiza) أموالهم وضياعهم.

- كما نظم المسلمون الأندلس إداريا وأتبعوها بولاية إفريقية وقسموها إلى أربعة ولايات، يدير كل ولاية حاكم تابع للوالي الذي يعينه والي إفريقية وأحيانا الخليفة، كما أن الفتح كان خيرا على إسبانيا فقد انتشلها من الفوضى والنزاعات السياسية التي كانت تعيشها خلال حكم القوط، وأحدث فيها ثورة اجتماعية وقضى على مساوئ العهد القوطي الّتي كانت البلاد تعيشها منذ عدّة قرون.

4- تقييم النّتائج:

لقد نتج على الفتح تغيير شامل في الوضع الاجتماعي حيث جعل الفرد يشعر بقيمته وكرامته، فقد أنار الفتح العقول بما تحمله من القيم الإسلامية الإنسانية والحضارية، كما عرفت البلاد انتشار اللغة العربية والدين الإسلامي، إلا أن التوزيع الظالم للأراضي أدى إلى ثورة البربر على العرب بعد إقصائهم، وهم الذين لعبوا أدوارا كبيرة في عمليات الفتح، كما ظهرت صراعات بين العرب القيسيين واليمنيين .

خاتمة: بسبب عدم إتمام المسلمين فتح المناطق الشمالية الوعرة في الأندلس وجنوب بلاد الغال، ظهر صراع جديد مع الممالك النصرانية في الشمال، وتنامى نشاط القوط في الشمال بحيث عملوا على توسيع مدهم العسكري من أجل استرداد المناطق المفتوحة في جنوب الاندلس، وهذا المد النصراني والعمليات العسكرية عرفت في أدبيات التاريخ الإسلامي بـ "حركة الاسترداد" التي تطورت فلسفتها وأساليبها ومناهجها فيما بعد، مما أدى إلى زوال حكم المسلمين الذي دام ثمانية قرون في الأندلس وكان هذا السقوط بتاريخ 897هـ/1492م.

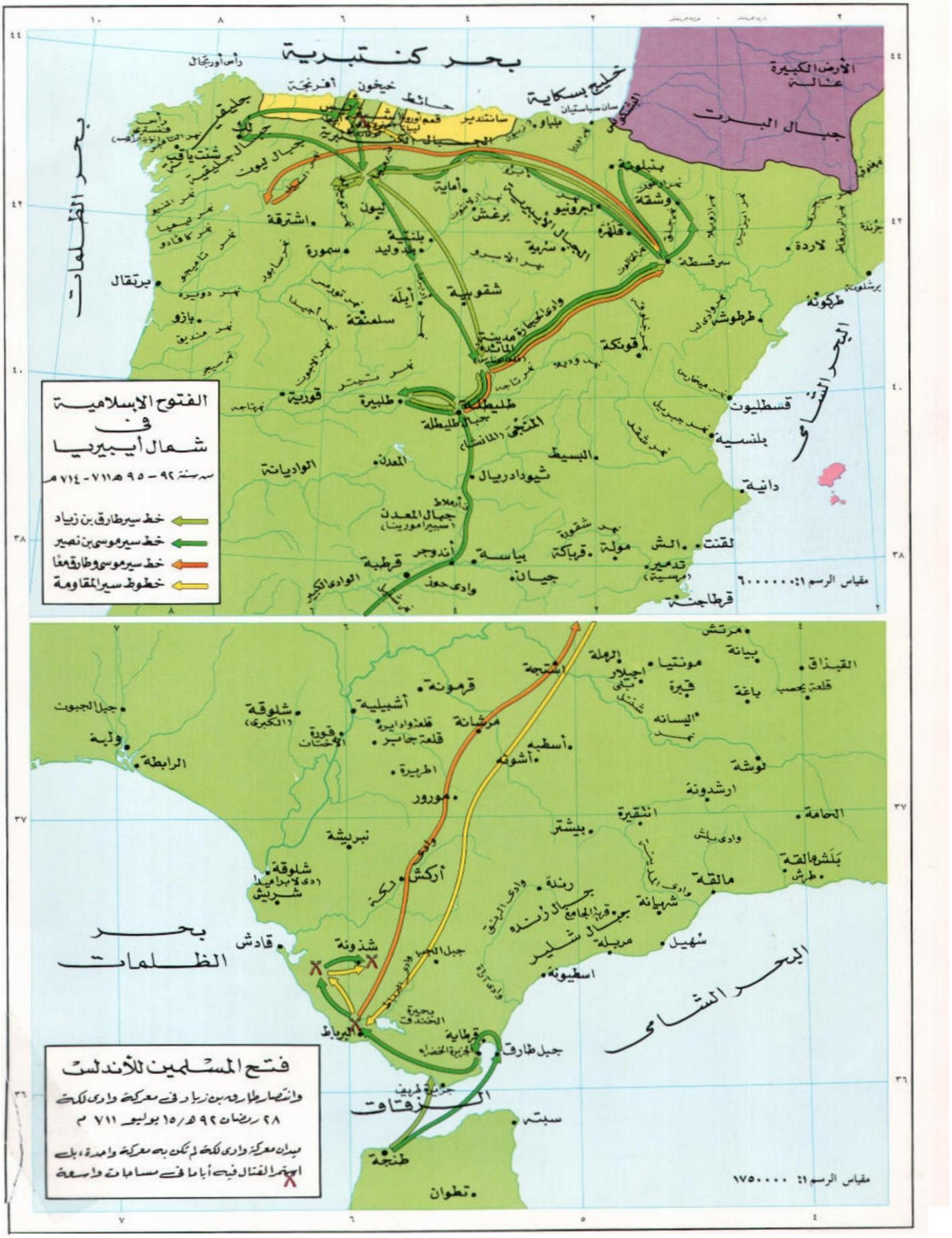
الفتوح الإسلامية في شمال أيبيريا
سنة ٩٢ - ٩٥ هـ ٧١١ - ٧١٤ م
خط سير طارق بن زياد
خط سير موسى بن نصير
خط سير موسى وطارق معًا
خطوط سير المقاومة
فتح المسلمين للأندلس
وانتصار طارق بن زياد في معركة وادي لكة
٢٨ رمضان ٩٢ هـ / ١٥ يوليو ٧١١ م
ميدان معركة وادي لكة لم تكن به معركة واحدة، بل استمر القتال فيه أيامًا في مساحات واسعة
بحر كنتبرية
بحر الظلمات
البحر المتوسط
جبال البرت
الأرض الكبيرة عمالة
جبل طارق
الجزيرة الخضراء
طنجة
تطوان
سبتة
قرطبة
طليطلة
إشبيلية
غرناطة
مالقة
بلنسية
قسطليون
طرطوشة
برشلونة
مقياس الرسم ١: ٦٠٠٠٠٠٠
مقياس الرسم ١: ١٧٥٠٠٠٠

بحر الظلمات
فتح الأندلس
٩٢ هـ - ٧١١ م
خط سير طارق بن زياد
خط سير موسى بن نصير
خطوط سير عبد العزيز بن موسى
المناطق التي فتحها المسلمون من الأندلس
منطقة فتحها المسلمون ثم انسحبوا منها
مقياس الرسم ١: ٥٥٠٠٠٠٠
بحر الروم
البحر الشرقي (دولة الروم)
المغرب الأوسط
المغرب الأقصى
مملكة الفرنجة
خليج إفريقية
خليج بسكاي